

باب

فى حسن المرأة وجمالها، وأديها وكمالها

فى الحديث الشريف " النظر إلى المرأة الحسناء والخضرة يزيدان فى البصر " - رواه أبو نعيم فى الحلية عن جابر بن عبد الله - وفى حديث آخر " ثلاثة فائنات الشعر الحسن والوجه الحسن والصوت الحسن " وقال أصحاب الاختصاص فى تعيين الجمال والحسن :

صاحب الحسن والجمال بحق من تميل القلوب طراً إليه
كلما لاح حسنه فى مكان كثرت زحمة العيون عليه

وقال آخرون : بل الحسن والجمال فى أعضاء مخصوصة بكيفيات مخصوصة من كانت فيه كان حسناً جميلاً . وقال قائل : الجمال هو عبارة عن ميل الذوق واستحسانه لشيء . ورد هذا القول بأن الأذواق تختلف والطباع تتباين ، فكم من محبوب عند قوم مكروه عند آخرين . وقال ابن أبى الأنصارى المتوفى سنة ٧٢٧ فى كتابه (الساسة فى علم الفراسة) قال صاحب البرجاني : إذا اجتمعت فى المرأة الرباعيات فهى الكاملة الجمال والحسن ، سواد أربعة : شعر الرأس ، وشعر الجفون ، وشعر الحاجبين ، وسواد الحدة ، وياض أربعة : يياض لحمها ، وبدنها ، وأسنانها ، وكفيها ، يياضاً نقياً ، واحمرار أربعة : اللسان ، والشفتين ، والوجه ، واللثة ، وتدوير أربعة : الرأس ، والكعبين ، والكفل ، والنهدين ، وطول أربعة : القامة ، والعنق ، والحاجب ، والشعر ، وطيب أربعة : رائحة الأنف ، والفم ، والإبط ، والفرج ، ودقة أربعة : الشعر ، والخصر ، والأنف ، واللسان ، ورقة أربعة : الشفتين ، والبشرة ، وأصابع اليدين ، والرجلين ، وصغر أربعة : الفم ، والأنف ، ولاكف ، والقدمين ، وحرارة أربعة : البدن ، والنفس ، والفرج ، والقدمين ، وقبضية

أربعة: الظفر، والفرج، والثدى. وظهر الكفين، ورخوصة أربعة: العنق، والكفين، والبطن، والقدمين، وسبوتة^(١) أربعة: العنق، والساقين، والساعدين، والكفين،

وهى مع هذا متناسبة مقادير الأعضاء والرأس والوجه، معتدلة القدمين بين الهزال المفرط والعبالة الزائدة، معتدلة اللحم بين الصلابة والرهولة، ودعجاء الطرف زجاء الحاجبين، مفلجة الثغر، مرتجة الكفل، حلوة الكلام. دون الطويلة وفوق القصيرة ويقول صاحب كتاب (السياية فى علم الفراسة) أيضاً إن العيون فى الحجازيات، والخصور فى اليمنيات، والشعور فى الكرجيات ١ هـ وقال بعض الشعراء مشيراً إلى نساء قبائل من العرب اختصن بشىء من الجمال:

خزاعية الأطراف كندية الحشا فزارية العينين طائية الفم

وفى كتب اللغة اللغة تفصيل لجمال النساء ولكل نوع اسم وهو، الوضيئة - هى التى فيها مسحة من جمال، الحسنة - بوزن جمانه - هى التى يشبه بعضها بعضاً الغنية - هى المستغنية بجمالها عن الزينة، الوسيمة - هى ذات الحسن الثابت القسيمة - هى ذات الحظ الوافر من الحسن، الرائعة - هى التى تسر من ينظر إليها الباهرة - هى الفاتكة على غيرها بحسنها، الخود - هى الحسنة الخلقة الغادة - هى الناعمة وهى أيضاً الأملود والروود والبرهره، البضة - هى الرقيقة الجلد الرعبوبة - هى البيضاء الناعمة، الهيفاء - هى الضامرة البطن، الغيداء - هى المتشبة من اللين، الممسودة - هى الممشوقة القد، البهانة - هى الطيبة الريح، العطولة - هى الطويلة العنق، الخريدة - هى الحبيبة، العروب - هى المتحبة لزوجها.

(١) السبوتة ضد التجعد والتعقد بأن يكون لنا مترسلا.

قال كعب بن زهير رضى الله عنه فى قصيدته (بانث سعاد) المشهورة

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول

وذكر أبو الفرج الأصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ فى كتابه (الأغانى) فى أخبار عمر ابن أبى ربيعة المخزومى المتوفى غرقاً سنة ٩٣ أن الثريا بنت على ابن عبد الله ابن الحارث بن أمية الأصغر التى كان عمر يشب بها كانت على جانب عظيم من الجمال وتمام حسن الخلقة، وذكر أنها كانت تصب عليها جرة ماء وهى قائمة فلا يصيب ظاهر فخذيهما منه شىء لعظم عجيزتها اهـ وقال الشاعر:

أبت الروادف والثدى لقمصها من البطون وأن تمس ظهوراً

ويقال فى تقسيم الحسن: إن الصباحة فى الوجه، والوضاءة فى البشرة، والجمال فى الأنف، والحسن فى الوجه، والحلاوة فى العينين، والملاحة فى الفم، والظرف فى اللسان، والرشاقة فى القد، واللباقة - بالباء الموحدة - فى الشمايل، والبراعة فى الجيد، والوقة فى الخصر. كما هو مذكور فى كتاب فقه اللغة للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ وفى كتاب أسرار النساء (لسليمان أعوان) أن الشعور لنساء الغانج - فى إفريقية - والأنوف للروم، والأفواه للانكليز، والقامات للشراكسة، والألوان للألمان والأسنان للمصريات والسواعد للبلجيكيات، والأفخاذ للإيطاليات، والعيون للأسبانيوليات، والأرجل للصينيات. واللطافة للفرنسيات، فمن كانت فيها هذه الأشياء فهى الجميلة اهـ.

فصل فى ترتيب سن المرأة

ما دامت صغيرة فهى طفلة، فإذا تحركت فهى وليدة، فإذا كعب ثدياها فهى كاعب فإذا زاد تكعبهما فهى ناهد، فإذا أدركت فهى معصر، فإذا

ارتفعت عن حد الأعصار فهي عانس، فإذا توسطت الشباب فهي خود، فإذا جاوزت الأربعين فهي مسلف، فإذا كانت بين الشباب والتعجيز فهي نصف، فإذا وجدت مس الكبر فهي شهلة وكهلة، فإذا عجزت وفيها تماسك فهي شهربة، فإذا صارت عالية السن ناقصة القوة فهي حيزبون، فإذا انحنى قدها وسقطت أسنانها فهي قلعم، ولطلط، بكسر اللامين.

مباراة الجمال بين الفتيات

أحدثت بعض الدول الأوربية بدعة المباراة فى الجمال بين فتيات العالم ممن يحبن الاشتراك فيها، وليس هذا الأحداث من الأمور الهامة، بل هو إلى السخف أقرب منه إلى الجلد حيث أنه ليس فى وسع أحد أن يكون سابقاً فى الجمال على غيره إذ هو من المواهب لا من المكاسب، ولا يمكن الاتفاق بين العالم كله على تخصيص فتاة بأنها هى الوحيدة فى الجمال فى العالم لاختلاف الأذواق فيه، إلا أنه لا يخلو من فائدة اعتنائهن بصحتهن فهو من هذه الجهة حسن.

باب

فى ذكر جوامع أعداد، لها بمدح النساء اعتداد

أنقل من كتابى (لوامع الإسعاد فى جوامع الإعداد) ماله علاقة بمدح النساء من أعداد جامعة، لأشياء رافعة، من أحاديث نبوية، وأقوال حكيمة، وأبيات شعرية، مشيراً إلى الحديث بحرف الحاء، وتاركاً ما هو غيره بلا إشارة على السواء.

عدد الاثنين

"حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني فى الصلاة"
(ح) - رواه الإمام أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى عن أنس بن مالك -
"أنى أخرج عليكم حق الضعيفين المرأة واليتيم" (ح) - رواه الحاكم والبيهقى
عن أى هريرة -

عدد الثلاثة

"ثلاثة لا تمسهم النار، المرأة المطيعة لزوجها، والولد البار بوالديه،
والمرأة الصبور على غيرة زوجها" (ح)، "لهو المؤمن باطل إلا فى ثلاث،
تأدية فرسه، ورميه عن قوسه وملاعبته مع أهله" (ح) "ثلاثة تقر العين المرأة
الموافقة، والولد الأديب، والأخ الودود، "ثلاثة تنسى المصائب، مر الليالى،
والمرأة الحسناء، ومحادثة فى ثلاثة، سعة المنزل، وكثرة الخدم، وموافقة
الأهل"، "لا سمر بعد العشاء إلا لثلاث، مؤانسة ضيف، أو محادثة أهل،
أو مداورة علم" "ذهبت اللذات إلا من ثلاث، شم الصبيان، وملاقة
الإخوان، والخلوة مع النسوان".

عدد الأربعة

"أربع من السعادة المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء" (ح) "أربع من سعادة المرء، أن تكون زوجته صالحة، وأولاده أبرار، وخلطاؤه صالحين، وأن يكون رزقه في بلده" (ح) - رواه ابن عساكر والديلمي عن علي بن أبي الدنيا عن عبد الله بن الحكم عن أبيه عن جده - "أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة، لسان ذاك، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه خوفاً في نفسها ولا ماله صالحة تعين أحدكم على دينه" (ح) - رواه الطبراني والبيهقي عن ابن عباس عن أبي هريرة - "تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك" رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه -

عدد الخمسة

"خمس لا تنال بخمس، مودة النساء بالغلظة، ومودة الإخوان بالجفاء، والآخرة بالرياء، والعلم بالدعة، والفضل بالهزل" "كمال المرأة في خمسة أحوال مرضاة ربها، وإطاعة زوجها، وحفظ لسانها، وزهداها في متاع الدنيا، وصبرها على المصيبة".

عناية الإسلام بشأن المرأة

كانت المرأة قبل الإسلام مضطهدة أسيرة ذليلة لا قيمة لها عند جميع الشعوب والأمم عن عرب وغير عرب، قال الأستاذ الفاضل الشيخ رشيد أفندي رضا وهو اليوم في عشر الثمانين من سني حياته بجلال الأعمال الدينية في كتابه المسمى (نداء للجنس اللطيف) كانت المرأة تشتري وتباع

كالبهيمة والمتاع، وكانت تكره على الزواج وعلى البغاء، وكانت تورث ولا ترث وتملك (بضم التاء) ولا تملك (بفتحها) وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل وكانوا يرون للزوج الحق في التصرف بمالها من دونها، وقد اختلفت الرجال في بعض البلاد في كونها إنساناً ذا نفس وروح خالدة كالرجل أم لا، وفي كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا، وفي كونها تدخل الجنة أو الملوكوت في الآخرة أم لا؟ فقرر أحد المجامع في روميه (في إيطاليا) أنها حيوان نجس لا روح له ولا خلود ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وأن يكفمها كالبعير والكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام لأنها أحبولة الشيطان، وكانت أعظم الشرائع تبيح للوالد بيع ابنته، وكان بعض العرب يرون أن للأب الحق في قتل بنته بل في وأدها - دفنها حية - وكان فيهم من يرى أنه لا قصاص على الرجل في قتل المرأة ولا دية، وكان أهم إنصاف للمرأة منحها إياه الشعب الفرنسي في أوروبا بعد ولادة النبي ﷺ بخمس عشرة سنة ولم يكن يدرى هو ولا غيره ما سيجيء به النبي ﷺ من الإصلاح البشري العام والنسوى الخاص اهـ قال الكمال أحسن الله تعالى له: وقد حصل ذلك كله بصور كافية وافية بالغرض المقصود، فالمرأة في الشرع حرة مختارة ترث وتورث وتملك (بفتح التاء) ولا تملك ولا تكره على فعل أى شىء يراد منها من مقبول ومردود، ولا حجر عليها فيما تملكه إلا بسبب، وليس لزوجها الحق في التصرف بمالها إلا بإذنها. وهى إنسان عاقل مكلف بمثل ما يكلف به الرجال مما يصح اشتراك التكليف فيه بينهما تتعلم وتعلم وتثاب على كل عمل خير تعمله فى الدنيا والآخرة إذا أرادت به وجه الله تعالى، وتدخل الجنة فى الآخرة إذا ماتت مسلمة مؤمنة وإلا فلا نعم إن عليها واجبات لزوجها كما لها عليه كما قال تعالى: (ولهن مثل الذى

عليهن) وفي النساء الصالحة ومن هي هي حباله من حبال الشيطان، ويقاص قاتلها ومريد السوء بها مادة أو معنى ويحرم دفنها وهي حية إلى غير ذلك من الأحكام والحقوق مما هو مفصل موضح فى الشرع الإسلامى. وفى هذا الكتاب شىء كثير منه وكل ما يرى يحسب الظاهر أن فيه شدة على المرأة هو بالحقيقة ونفس الأمر تخفيف عليها ورحمة بها كالحجاب مثلا فإن القصد منه صونها من أن تمتد إليها العيون أولا ثم الأيدي ثانياً بما لا يحل مد العين واليد فيه، فالمتحجبة المستترة مصونة من وصول شر الأشرار إليها قولاً وعملاً بخلاف المتبرجة المتكشفة فإنها عرضة إلى كل خطر يدنس العرض ويلوث الشرف، لا سيما أن حالتها هذه كناية تعرضها لمن يريد، ولو أن فى المتبرجات من لا يقصد هذا ولكن العبرة للغالب. وقد قيل من سالف الأزمان: كاد المريب أن يقول خذونى. وقال الأستاذ شمس الدين الغريانى الموظف بدار الكتب المصرية فى مقالة نشرها فى جريدة المقطم: لم تكن المرأة فى عهد القانون الرومانى شيئاً يؤديه له، فهى قبل زواجها تحت سلطة والدها فإذا تزوجت دخلت تحت سلطة زوجها فلا تستطيع التصرف فيما تملكه فهى أشبه بالعبيد الأرقاء، ثم أخذت تستعيد حريتها شيئاً فشيئاً حتى نالت منها قسطاً ولكنه غير كامل وسبب سوء معاملتها ضعفها عن حماية نفسها. وأما القانون الفرنسى فإنه ترك للفتاة العذراء والأرملة كل حقوقها وحريتها من غير ولاية لأحد عليها ما دامت بالغتين سن الرشد، وأما التزوجة فهى تحت سلطة زوجها المطلقة لا لضعفها بل لوجوب طاعتها لزوجها فأهليتها لما كانت فتاة غير متزوجة أو أرملة تزول بزواجها لا لكونها امرأة بل لكونها زوجة، فالمتزوجة لا تستطيع أن تتناول شيئاً من ممتلكاتها ببيع أو هبة أو غير ذلك إلا بترخيص من زوجها ما لم يكن غائباً غيبة طويلة يتعذر معها أخذ الإذن منه، ولا تستطيع مزاوله مهنة إلا بعد موافقة زوجها، وللزوج السلطة فى مراقبة

شئون زوجته الشخصية فله أن يمنعها من الاجتماع بأى شخص لا يريد اجتماعه بها ولا اجتماعها به، وله أن يطلع على ما تكتبه وتراسل به وأن يفتح مكاتيبها المرسلة منها والمكاتيب الواردة إليها، وله أن يمنعها من قراءة أى كتاب لا يليق بها أن تقرأه. وهو مع ذلك يخاطبها بلفظ سيدتى افعلى كذا أو سيدتى لا تفعلى كذا اه قال الكمال أحسن الله تعالى إليه: وأين هذا التذبذب والتفريق فى المعاملة بين الإيثار والأراذل والمتزوجات من نساء فرنسا من قانون العدل والإحسان قانون الشرع الإسلامى فى معاملة النساء من غير تفريق فى الصفة حيث قال تعالى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) فالمرأة فى الشرع الإسلامى لا بد لها من ولى وهى حرة فيما تملكه وتتصرف به ما لم تكن سفيهة أو مبذرة، وليس لزوجها أن يطلع على أسرارها إلا إذا حدث منها ما يوقعه فى الشبهة، وليس له أن يسافر بها إذا شرط لها أن لا يخرجها من بلدها، وأما إذا لم يشترط لها ذلك فقد كان الحكم الشرعى أن لا يسافر بها من بلدها قدر مدة السفر، ثم أفتى شيخ الأزهر السابق الشيخ مصطفى المراغى بلزوم ذهاب الزوجة مع زوجها أينما ذهب عملاً بقول بعض أئمة الفقه من غير أصحاب المذاهب الأربعة للحكمة المقتضية لذلك، وهى لزوم أن تكون الزوجة مع زوجها والزوج مع زوجته ليحصل التعاون بينهما على الحياة المعيشة لا سيما فى هذه الأوقات التى كثرت فيها وسائل المناقلات، فلم يبق مجال لأن يقال بعد وقرب يخشى منه عليها، فأبعد مكان يتوصل إليه بأقرب مدة وهذا أمر حق فإنه لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان مما فيه المصلحة للناس والرفق بهم والحمد لله على دين الإسلام فإنه دين تسهيل ورفق ويسر كما قال تعالى (ما جعل عليكم فى الدين من حرج) اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين.

باب

فى ذكر ما جاء من ذم النساء والأمر بمعاملتهم بالشدة والجفاء

كل شىء بحد ذاته قابل لأن يمدح ويذم، ويقبل ويرد، باعتبار ما تركب منه من العناصر. فالنساء يمدحن ما كن متمسكات بالشرع الإسلامى من اتباع أمر واجتناب نهى، كما أنهن يذمن إذا خالفن أمر الله تعالى إيجاباً وسلباً بالرغم مما فيهن من طبائع وأخلاق وعادات كادت تكون جبلة فيهن، وإنما التعليم الدينى يزيل تلك المنكرات كلها أو يخفف وطأتها، وما من داء إلا له دواء، وقد وصف الله تعالى النساء فى القرآن الكريم بأوصاف كثيرة مذمومة منها كونهن شهوة، ونقص عقولهن، وعجزهن عن القيام بأموهن، واحتياجهن لولى يقوم عليهن، ولمن يحصنهن ونسبته حصول كثير من المنكرات لهن، وإذاعتهن الأسرار والخيانة لأزواجهن والكيد وقوة الشهوة والوقاحة والافتراء وغير ذلك مما هو مذكور فى القرآن الكريم وليس بالقليل. وتجد سورة يوسف عليه السلام فيها كثير من تلك الأوصاف المذمومة فيما حصل بينه وبين امرأة العزيز وهى واحدة من النساء:

وما أوتى من مثله واحد فجائز إتيان أمثاله

ولا يقال إن ذلك خاص بامرأة فى واقعة حال مفردة، كلا فإن القاعدة الأصولية أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب كالقوانين التى تضعها الحكومات فإنها قد تكون بسبب واقعة حصلت وإنما يطبق عليها كل ما كان من شكلها فلا يقال إن هذه المادة أو هذا القانون كان بسبب الحادثة الفلانية فلا يطبق على غيرها وهذا لا يختلف فيه اثنان.

أما كون النساء شهوة فدليله قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات من

النساء والبنين) الخ الآية. عدد الله تعالى جملة أشياء وصفها بأنها شهوة بادئاً منها بالنساء دليلاً على أن الأهم المقدم ولذلك قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها من شقوتنا أن الله تعالى قدما حين ذكر الشهوات أهـ والشهوة حركة النفس لطلب ما يلائمها والنفس أمارة بالسوء فلا تطلب إلا ما فيه هواها ورداها فالشهوة إذن هي اتباع هوى النفس من غير تقيد بشرع أو عرف، وتطلق في الغالب على الأمور البهيمية من الملاهي والاستمتاع وغير ذلك، وعلى قدر قوتها في النفوس تكون الخسة والصغة بنظر أهل العقول الصحيحة السليمة ولا يرد عليه أن ما ذكره الله تعالى في الآية بعد ذكر النساء من البنين وكثرة المال والخيل والأنعام والحرث شهوة أيضاً لأنه ذكره في آيات أخرى في معرض المدح والامتنان به على خلقه ولا يمن بما هو مذموم قال الله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ولا تكون الزينة مذمومة إلا إذا اشتملت على منكر وقال حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام مع قومه (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين) ولا تكون نتيجة الاستغفار الأنعام بالشئ المذموم، فالأموال والبنون تمدح وتذم بحسب ما يترتب عليها، أما الشهوة فإنها مذمومة لذاتها لأنها لا تكون موافقة للشرع، ولا هي محل للثواب عليها. والشهوة ما تذكر إلا وهي مذمومة قال الشاعر:

رب مستور سبته شهوة فعرى عن ستره وانهكتا
صاحب الشهوة عبد فإذا ملك الشهوة أضحى ملكاً

وقد كانت زوجتي السيدة قدسية كريمة الشيخ جمال الدين القاوqجى رحمهما الله تعالى لا تحب أن تسمع منى كلمة شهوة وذلك إنى إذا سألتها عما تريده قائلاً لها الرجل يأكل بشهوة عياله؟ تقول لى: لا تقل بشهوة عياله

فإنه عيب بل قل باشتهاء عياله اهـ وفى قوله تعالى زين بالبناء لما لم يسم فاعله ما يفيد أن المزين غير الله لما فى آيات أخرى تدل على أن المزين هو الشيطان كقوله تعالى (الشيطان زين لهم) وقوله تعالى (وإذا زين لهم الشيطان أعمالهم) وقوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم).

وأما نقص عقولهن وضعف ضبطهن فدليلة قوله تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) وقد ذكر الفقهاء: أنه لو شهدت ألف امرأة ليس معهن رجل لم تصح شهادتهن، نعم إنه تقبل شهادة اثنين فما فوق فيما لا يعلم إلا من جهتين كشهادة امرأتين أو أكثر على أن فلانة حبلى، أو غير حبلى، فإنهما تقبل شهادتهما من دون أن يكون معهما رجل للضرورة وهى عدم جواز اطلاع الرجل على عورة المرأة ليعلم أنها حبلى أو غير حبلى مثلاً والضرورة تقدر بقدرها كما هى القاعدة الأصولية.

وأما عجزهن عن القيام بأمورهن بأنفسهن فدليلة قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) وإنما يقام القيم على العاجز والقاصر والضعيف والمعتوه والسفيه والمبذر لما فى كل ألك من معنى العجز عن حفظ كيانه وصيانة ماله وحماية نفسه والمرأة من هذا القبيل، فلذلك كان قيام الرجل عليها لازماً ولا تصح تصرفاتها إلا بموافقة وليها وولى المرأة أبوها أو ابنها أو أخوها أو زوجها والأقرب لولايتها زوجها، فإن لم يكن لها زوج فابنها، فإن لم يكن لها ابن فأبوها، فإن لم يكن لها أب فأخوها، فإن لم يكن لها أخ فعمها، فإن لم يكن لها عم فالأقرب إليها نسباً.

وأما كون إحصائهن من غيرهن لا من أنفسهن فدليلة قوله تعالى

(والمحصنات من النساء) ذكرهن الله بصيغة اسم المفعول إشارة إلى أن إحصائهن من غيرهن وهو الولي عليهن، ولذلك لا يصح أن تزوج امرأة نفسها من غيرها بلا ولاية ولي عليها لعدم تمييزها بين معرفة ما ينفعها وما يضرها في عاجل أمرها وآجله، إذ ليس عندها من النظر والتفكير ما يسوغ لها زواجها نفسها، وكم من امرأة استبدت بأفعال نفسها فكانت عاقبة أمرها خسرًا. وبمقابلة ذكر الله تعالى المحصنات بصيغة اسم المفعول ذكر الرجال بصيغة اسم الفاعل فقال تعالى (محصنين غير مسافحين ولا متخذين أخدان) إشارة إلى أن إحصان الرجال من أنفسهم لا بسبب غيرهم

وأما نسبة حصول المنكرات لهن فدليلة قوله تعالى (فإن آتين بفاحشة) وقوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) حيث نسب إتيان الفاحشة إليهن وقدم الزانية على الزاني إشارة إلى أنه لا يزني رجل بامرأة إلا بموافقتها ورضاها في الغالب مهما ظهر إباء وامتناع، قال بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٨ .

لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وإن قبحا
عسر النساء إلى مياسرة والصعب يركب بعد ما جمحا

وقال الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ في كتابه المحاسن والأضداد: وقيل لو أن أقبح الناس وجهًا، وأنتهم رائحة، وأظهرهم فقرًا، وأسقطهم نفسًا، وأوضعهم حسبًا، قال لامرأة والله يا مولاتي لقد أسهرت ليلي، وأرقت عيني، وشغلتنى عن مهم أمرى فما أعقل أهلا، ولا ولدًا لمالت إليه وأحبته ولو كانت أبرع الناس جمالا وأكملهم كمالا، وأملحهم ملاحه. وكان مثل أم الدرداء أو معاذة القيسية أو رابعة العدوية اه وفي تقديم الزانية على الزاني في هذه الآية السالفة الذكر وتأخير السارقة عن السارق في آية (والسارق

والسارقة فاقطعوا أيديهما) إشارة إلى مسارعة النساء فى شهواتهن أكثر من مسارعتهن لسد حاجاتهم ودفع ضرورتهن، لأن السارق إنما يسرق عن احتياج لا عن شهوة، وأما الزانية فإنها تزنى عن شهوة لا عن احتياج، لأن احتياجها يمكن تلافيه بعمل غير الزنا، وليس لها مهما اشتدت بها الحاجة والضرورة أن تنتهك عرضها. وقد قيل من القديم تموت الحرة ولا تأكل بشديها، فكيف بقرجها على أن أكلها بثديها أى إرضاعها طفل غيرها بأجرة ليس محظوراً شرعاً، ولا منفوراً منه عرفاً، فلم يبق إلا أن زناها أقرب إلى تسكين شهوتها من دفع حاجتها.

وأما إذاعتهن للأسرار وعدم كتمانهن لها فدليله قوله تعالى (وإذا أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض) نعم إن المرأة تقدر على كتم سر عمرها فإنها تبلغ الخمسين أو ما فوقها ويظهر عليها آثار الكبر والانحطاط وإذا سئلت عن عمرها قالت إنها دون الثلاثين، أو أن فلانة التى هى فى عداد أولادها أكبر منها، كأن مر السنين لا يؤثر على سنى عمرها تأثيراً تزيد فيه. وأعرف امرأة كنت أرغب أن أتزوج بها سنة ١٣١٥ هـ وهى فى ذلك التاريخ لا تقل عن خمس عشر سنة تقول اليوم ونحن فى سنة ١٢٥٣ إن عمرها ما بلغ الثلاثين بعد، ولها ولد من الزوج الذى تزوجت به لا يقل عمره عن اثنين وعشرين سنة اليوم، وقد تزوج وولد له ولدان. وهذا التشدد فى كتم سن أعمارهن مما لا مزيد عليه عند المتشددين* وفيه نساء تعرف أن الكذب مذموم ولا تكذب.

وأما خيانتهم لأزواجهن فدليلها قوله تعالى (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) والخيانة أنواع؛ تكون فى العهد والمال والعرض، وأشدّها ضرراً خيانة الزوج

فى عرضه بأن يكون لها صاحب تستسلم إليه فيتمتع بها، وربما حملت منه فكان الحمل لزوجها إذ لا يعلم بحقيقة الأمر، فتحمل به وتلد على اعتبار أنه ابنه يشارك أهل أبيه فى النسب والمال ولا ضرر أعظم من خيانة الزوجة لزوجها فى عرضه، ولذلك ورد فى الحديث الشريف أن عليها نصف عذاب هذه الأمة. ولفظ الحديث "إن التى تورث المال غير أهله عليها نصف عذاب هذه الأمة" - رواه عبد الرزاق عن ثوبان - وفى حديث آخر "اشتد غضب الله على امرأة دخلت على قوم ولدًا ليس منهم يطلع على عوراتهم ويشركهم فى أموالهم" - رواه البزار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وفى حديث آخر "أىما امرأة أدخلت على قوم ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله جنته، وأىما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله عنه وفضحه على رءوس الأولين والآخرين يوم القيامة" - رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان ورواه الحاكم أيضًا عن أبى هريرة -

وحكايات خيانات الزوجات لأزواجهن كثيرة مستفيضة شائعة لا يخلو منها زمان ولا مكان، وقد كانت تسطر فى الكتب فصارت فى هذا العصر تنشر على صفحات الجرائد ويتناقلها الركبان فى جميع أقطار الأرض بسبب ما للجرائد من قوة الذبوع ووسائط الانتشار، وما قصه خيانة لطفه من آل الياق لزوجها فوزى الغرى بمجهولة عند أحد من الناس وقد صدق من قال عنهن: عقولهن فى فروجهن.

وأما الكيد وهو المكر والخبث والحيلة والزيادة فى إظهار التظلم تهويلا للأمر بالكذب فهو من صفات النساء اللازمة لهن، وقد وصفه الله تعالى بالعظم فقال له (إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) وهون كيد الشيطان أمام كيد النساء فقال تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفًا) فالنساء بكيدهن أشد من

الشیطان بکیده علی الرجال وقد استعاذ رسول الله ﷺ من کید النساء فقال "اللهم إنی أعوذ بك من امرأة تشیبنی قبل المشیب" وقال فی حدیث آخر "اللهم إنی أعوذ بك من فتنة النساء - رواه الخرائطی عن سعد - قال العلامة الألوسی المتوفی سنة ١٢٧٠ هـ فی تفسیره والخطاب عام للنساء مطلقاً وكونه لها - أى لامرأة العزیز - ولجواریهها كما قیل لیس بذلك، وتعمیم الخطاب للنتیة علی أن الكید خلق لهن عریق بهن، كما قال أبو تمام الشاعر المتوفی سنة ٢٣١ هـ:

فلا تحسبا هذا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند

ولربات القصور منهن القدح المعلى من ذلك لأنهن أكثر تفرغاً من غیرهن، ولعظم کید النساء اتخذهن إبلیس وسائل لإغواء من صعب علیه إغوائه، ففی الخیر ما أیس الشیطان من أحد إلا أتاه من جهة النساء. وحكى عن بعض العلماء أنه قال أنا أخاف من النساء ما لا أخاف من الشیطان، فإن الله تعالى یقول (إن کید الشیطان کان ضعیفاً) وقال للنساء (إن کیدهن عظیم) ولأن الشیطان یوسوس مسارقة وهن یواجهن به. وما قیل إن ما ذکر من نسبة الكید محكى عن قطفیر (عزیز مصر) لا یصلح للاستدلال به لیس بشیء، لأن الله سبحانه وتعالى قصه من غیر نکیة فلا جناح فی الاستدلال به، وكان بعض الرجال الأخیار المبتلین بالنساء الأشرار یقول: إنی لأستعید بالله من شر زوجتی أكثر مما أستعید به من شر الشیطان الرجیم، لأن الله تعالى یقول خطاباً للشیطان (إن عبادى لیس لك علیهم سلطان) وأنا من عباده إنشاء الله تعالى، وأما النساء فلیس فی القرآن ما یحفظنى منهن حتی لا أستعید بالله من شرهن اهـ والمرأة الشریره أشد علی الرجل من الشیطان، وقدرتها علی البكاء والشهیق والصراخ تعینها علی أن تظهر بمظهر المظلومة وهى الظالمة فی کثیر من الأحوال، ومن ظلمها یلقى الرجال أنواع الأهوال.

وأما قوة الشهوة فظاهرة من مراودة امرأة عزيز مصر ليوسف عليه السلام عن نفسه وهى امرأة كبيرة سنًا ومقامًا فلم يمنعها كبر سنّها ولا علو مقامها من أن تتغلب على شهوتها وتحفظ شرفها من أن تبتذله بعرض نفسها على من يعد بحسب الظاهر أنه خادم لها ولم تكتف بذلك بل أصرت عليه وهددته بالسجن والتعذيب إن لم يفعل ما طلبته منه، وفى ذلك دليل بين على ما عندها من قوة الشهوة.

وأما الوقاحة والافتراء فى النساء فهو أيضًا ظاهر من قصة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام، فقد حصحص الحق وتبين أنه برىء معصوم وأنها هى المتعرضة له ومع ذلك ما خجلت ولا استحييت ولا وارىت فى كلامها بل أصرت عليه وطلبت تنفيذه بالقوة والعنف، وهذا منتهى الوقاحة. والشهوة فى النساء على الإطلاق أقوى منها فى الرجال ولا سيما نساء البلاد الحارة، ومن أجل ذلك كان من امرأة العزيز ما كان باعتبار أنها امرأة فى بلاد ل تربتها تلك الخاصة، والمرأة لا تتبدل قوة شهوتها بكبر سنّها ورقة جلدها، بل هى فيها على حالة واحدة. وإنما يمنعها من الجهر بها عدم اعتقادها بمن يلبى طلبها، لأن الناس لا يألفون قرب العجائز مهما يكونوا ذوى شهوة قوية إلا ما ندر، فالطعن فى السن لا يؤثر عليها ما دامت حية تسعى. وأما شهوة الرجل فإنها محدودة بحد إذا بلغته لا تتعدها بل تأخذ بالتقهقر والانحطاط حتى يصل إلى درجة لا يشتهى معها النساء، وليس لذلك سن معينة بل هو بحسب قوة البنية وضعفها وصحة الجسم ومرضه.

وأما المكر فهو ظاهر من قوله تعالى: (وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبًا إنا لنراها فى ضلال مبين) حيث لم يكن هذا القول منهن غيرة عليها ولا لتألم من سوء حالها، ولكن لتسمع به امرأة العزيز فتستدعيهن فينظرون يوسف حيث بلغهن من جماله ما شغل بالهن،

وقد ورد فى الأحاديث أنه أعطى نصف الحسن، وعلى أمل أن يستخلصه
لأنفسهن، فعلمت زليخا وهى امرأة العزيز (وقيل اسمها راعيل) بما قصدنه
وأردته وعرفت أنه مكر منهن كما قال الله تعالى: (فلما سمعت بمكرهن
أرسلت وأعتدن لهن متكئا وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن
فلما رأيته أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك
كريم قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد رأتوته عن نفسه فاستعصم ولئن لم
يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) وقد روى أنهن قلن له أطلع
مولاتك واقض حاجتها لتأمن من عقوبتها فإنها المظلومة وأنت الظالم. وروى
أن كل واحدة منهن طلبت الخلوة به لتنصحه، فلما خلت به دعت له نفسها
فيالله من مكر النساء وعهرهن يقلن عن امرأة العزيز (إنا لنراها فى ضلال
مبين) ثم ينصحه بأن يطيعها، ثم يطلب الخلوة به لتنصحه، حتى إذا خلت
كل واحدة به طلبت منه أن يقع عليها فهل بعد هذا مكر فوق هذا المكر أه
قال الكمال أحسن الله تعالى إليه: ويستنبط من قصة زليخا امرأة العزيز وما
وقع ليوسف عليه السلام معها غير ما ذكرناه أن النساء يتصر بعضهن بعضاً
بحق وبلا حق قلن له أطلع مولاتك واتهمنه بأنه ظالم لها لعدن إجابته وإنها
مظلومة حيث منعها ما أرادت، وهذا طبيعة فى النساء لا تتبدل. فإنه مهما
حصل من خلاف بين النساء والرجال وكان الحق ظاهراً مع الرجل ينقلبن عليه
وينتصرن لمن هى سواء أكن يعرفنها أم لم يعرفنها وأن عزيز مصر كان حليماً
سليماً حيث لم ينبض له عرق ولا تهيج له دم، وقد علم وتحق ما فعلته
امراته بل اكتفى بقوله: (يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت
من الخاطئين) قال العلامة الألوسى: كان قطفير عزيز مصر رجلاً حليماً كما
روى عن الحسن، ولذا اكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها. وروى أنه كان قليل
الغيرة. وفى البحر أن تربة إقليم قطفير اقتضت ذلك أه ما قاله.

باب

فيما جاء من الأحاديث في ذم النساء

وأما ما ورد من الأحاديث في ذم النساء فهذا بعض منها قال رسول الله ﷺ (النساء حبائل الشيطان) - رواه البيهقي وابن عساكر عن عقبة بن عامر - وفي حديث آخر: "النساء لا يستشرون ولا يخبثون" وفي حديث آخر "إن أقل ساكني الجنة النساء" - رواه الإمام أحمد ومسلم عن عمران بن حصين - وفي حديث آخر "عامة أهل النار النساء" - رواه الطبراني عن عبد الله بن حصين - وفي حديث آخر: "ألا إن النار خلقت للسفهاء وهن النساء إلا التي أطاعت بعلها، وفي حديث آخر: "إن إبليس الملعون يخطب شياطينه فيقول عليكم باللحم وبكل مسكر وبالنساء فإنني لم أجد جماع الشر إلا فيها" وفي حديث آخر: "لولا النساء لعبد الله حقًا" - رواه الديلمي عن أنس وابن عدى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وفي حديث آخر: "لولا المرأة لدخل الرجل الجنة" - رواه الثقفى عن أنس - وفي حديث آخر: اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء والأغنياء" - رواه عبد الله بن الإمام أحمد ابن حنبل عن عبد الله بن عمرو بن العاص - وفي حديث آخر: "مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم" (١) الذي إحدى رجله بيضاء" - رواه الطبراني عن أبي أمامة - وفي حديث آخر: "الدنيا خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا والنساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء" وفي حديث آخر: "ليأتين على الناس زمان لو وقع حجر من السماء إلى الأرض ما وقع إلا على امرأة فاجرة أو رجل منافق" - وفي حديث آخر: "إذا كان الشؤم في

(١) يريد قلة النساء الصالحات.

شيء ففي ثلاث المرأة والدار والفرس " وفي حديث آخر: " النساء غل قمل
 يقذفه الله في عنق من يشاء ثم لا يخرج منه إلا هو " - وفي حديث آخر: " ما
 صعب على الشيطان أمر فأتاه من جهة النساء إلا هان عليه " وفي حديث
 آخر: " ما أخاف على أمتي أخوف عليها من النساء والخمر " - رواه يوسف
 الخفاف عن علي بن أبي طالب وفي حديث آخر: " ما تركت بعدى فتنة أضرب
 على الرجال من النساء " - رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد
 بن حنبل عن أسامة بن زيد - وفي حديث آخر " ما رأيت ناقصات عقل ودين
 أسوأ للب ذوى الألباب منكن " - رواه أبو نعيم عن عبد الله بن عمر - وفي
 حديث آخر: " ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب من إحداكن
 أما نقصان العقل فإن شهادة امرأتين بشهادة رجل وأما نقصان الدين فإن
 إحداكن تفطر رمضان وتقيم أياماً لا تصلى " يعنى فى حالتى الحيض
 والنفاس . وقد بينت الأحكام الفقهية أن الحائض والنفساء تقضى صيام رمضان
 ولا تقضى ما تركته من الصلاة - وفي حديث آخر " اتقوا الدنيا واتقوا النساء
 فإن إبليس طلاه رصاد وما هو بشيء من فحونه بأوثق لصيده فى الاتقياء من
 النساء " - رواه الديلمي عن معاذ - وفي حديث آخر: " استعينوا بالله من
 شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر " وفي حديث آخر: " شاوروهن
 وخالفوهن فإن البركة فى خلافهن " - وفي حديث آخر " أخرروا النساء من
 حيث أخرهن الله " وفي حديث آخر " يقطع الصلاة الكلب والحمار والمرأة " -
 وفي حديث آخر: " إذا استقبلتك المرأة فلا تمر بينهما خذ يمينه أو يسره " -
 رواه البيهقي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وفي حديث آخر: " لن يفلح
 قوم ولو أمرهم امرأة " - رواه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد ابن حنبل
 عن أبي بكر - وفي حديث آخر: " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من

النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد" - رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وأحمد ابن حنبل عن أبى موسى الأشعرى وفى حديث آخر: "طاعة النساء ندامة - رواه البيهقى وابن عساكر عن عائشة - وفى حديث آخر: "هلك الرجال حين أطاعت النساء" - رواه الإمام أحمد والطبرانى والحاكم عن أبى بكره - وفى حديث آخر: "أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء لأنهن يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً" وفى حديث آخر: "من تسع وتسعين امرأة واحدة فى الجنة وبقيةن فى النار - وفى حديث آخر: "يا معشر النساء تصدقن فإنى رأيتكن أكثر أهل النار قلن ويم يا رسول الله؟ فقال تسرعن اللعن وتكثرن الطعن وتكفرن العشير إذا اجعتن دقعن^(١) وإذا شبعتن أشرتن - وفى رواية حجلتن" وفى حديث آخر: رأيت كأن امرأة تائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت بمهيجة فأولت أن وباء المدينة نقل إليها" - رواه البخارى والترمذى وابن ماجه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - ومناسبة ذكر هذا الحديث مع ما قبله كون وباء المدينة تمثل لرسول الله ﷺ بصورة امرأة إشارة إلى أن بين النساء والوباء مناسبة وعلاقة - فهذه ثلاثة وثلاثون حديثاً فى ذم النساء. وروى أيضاً أنهن محملات الآصار ومكلفات الأوزار وأكثر أهل النار لا يصبر عليهن إلا الأخيار.

(١) دفع رضى بالدون من المعيشة وساء احتمالها للفقير ولصق بالتراب ذلاً وفقراً وأشر بطر وحجل رفع رجلاً ومشى متريئاً على رجله الأخرى كناية عن البطر.

باب

فيما جاء في ذم النساء عن الحكماء

وأما ما قيل من غير الآيات والأحاديث في ذمهن فكثير منه ما جاء في
حكمة داود عليه السلام وهو: وجدت من الرجال واحداً في العدد ولم أجد
واحدة في النساء جميعاً. وفي العقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨
أجمعت العرب والعجم على أربع كلمات: فقالوا لا تحملن ما لا تطيق، ولا
تعمل ما ليس لك فيه فائدة، ولا تثق بامرأة مهما تكن، ولا تغتر بمال وإن
كثر. وفي كتاب مروج الذهب للمسعودي المتوفى سنة ٣٣٦ قال الحجاج بن
يوسف الثقفي المتوفى سنة ٩٥ للوليد بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين دع عنك
مفاكهة النساء ولا تطلعهن على شرك ومكايدة عدوك، ولا تطعن في غير
أنفسهن، ولا تشغلن بأكثر من زيتهن، وإياك ومشاورتهن في الأمور فإن
رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن، واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك
لهن، ولا تملكهن من الأمور ما يجاوز أنفسهن، ولا تطمعن أن يشفعن عندك
لأحد، ولا تطل الجلوس معهن فإن ذلك أوفر لعقلك، وأبين لفضلك. وفي
كتاب اللطائف والظرائف للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ كان الخليفة المأمون المتوفى
سنة ٢١٨ يقول: النساء شرب كلهن ومن شر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن اهـ
قال لقمان الحكيم لابنه: يا بني إذا أردت أن تقوى على الحكمة فلا تملك
نفسك للنساء، فإن المرأة حرب ليس فيها صلح، إن أحبتك أكلتك، وإن
أبغضتك أهلكتك. وقال أيضاً: اتق المرأة السوء فإنها تشيك قبل المشيب،
واتق شرار النساء وكن من خيارهن على حذر. وقال معاوية بن أبي سفيان
المتوفى سنة ستين رضى الله تعالى عنه النساء يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام.
وقالت الحكماء: لم تنه امرأة قط عن شيء إلا فعلته. وسئل بعضهم أى

النساء أحب إليك الطويلة أو القصيرة؟ فقال القصيرة قيل ولم؟ قال لأن النساء شر كلهن، وما قصر من الشر كان أقل ضرر مما طال. وقال الشيخ أحمد الأبشيهي المتوفى سنة ٨٥٢ في كتابه المستطرف قال حكيم: آخر عمر الرجل خير من أوله، يثوب حلمه، وتثقل حصاه، وتحمد سريرته، وآخر عمر المرأة شر من أوله، يذهب جمالها، ويذرب لسانها، ويعقم رحمها، ويسوء خلقها. وقال حكيم آخر: أضر الأشياء بالدين والعقل والجسم والمال الغرام بالنساء، فإن النساء متى عرفن قلبك بالغرام، ارعفن أنفك بالرغام - أى أذلنك - وقال آخر: لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة إلا بعد موتها وقال طفيل الغنوى:

إن النساء متى ينهين عن خلق فإنه واقع لا بد مفعول

ينهين بفتح الياء وضمها وقال الزمخشري المتوفى سنة ٥٤٧ في كتابه نوابغ الكلم: آث من نسوة من اتخذ النسوة له أسوة وقال يتحكم بالنساء:

إن قومي تجمعوا وبقـتلى تحدثوا

لا أبالى بجمعهم كل جمع مؤنث

وقالت بعض فضليات النساء: إنما النساء أغلال فليختر أحدكم ليده وعنقه وفي كتاب تفسير الأحلام للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ لا يعتد برؤيا المرأة لعدم التثبيت منها في أطوارها يقظة. وفي غيره من كتب تفسير الأحلام أن النعل تعبر بالمرأة في رأى فى منامه أنه خلع نعله دل على أنه يطلق امرأته والعوام إذا أرادوا أن يدعوا على أحد بشر قالوا يضر به عفلق والعفلق فى اللغة المرأة الخرفاء البذيئة المنطق، كأنهم يرون ابتلاء المدعو عليه بمثل تلك المرأة أشد ما يأتى عليه والترك يقولون المرأة طويلة

الشعور قصيرة الشعور على كتفها خرج، فما كان من خير رأته من زوجها فهو فى الجهة التى وراء ظهرها وما كان من شر زعمته فهو فى الجهة التى أمامها. قال الحكماء أحسن الله تعالى إليه: وقد قال الترك هذا القول وقتما كانت النساء تفتخر بطول شعورها، وأما اليوم فقد أصبحن يصبصنه كما يقصه الرجل فأصبحن بلا شعور ولا شعور، وهم يسمون القملة كهلة، والكهلة يف العربية المرأة التى هى بين الثلاثين والأربعين من عمرها، فكانها بنظرهم وهى فى سن الفتاة وبلوغ الرشد والأشد بمنزلة القملة ودرجتها وقيمتها، فما بالك بمن هى فوقه أو دونه وقال سيدنا على رضى الله تعالى عنه: لا تتخذوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تدعوهن يديرن أمر العيال، فإنهن إن تركن وما يردن أفسدن السالك وأوردن المهالك. وقد وجدناهن لا ورع لهن عند شهواتهن، ولا مروءة لهن عند خلواتهن يتهافتن على العصيان، ويتمادين فى الطغيان، ينكرون الكثير إذا منعن القليل. ينسبن الخير ويذكرن الشر، صوالهن غادرات، وطوالهن فاجرات، وأما المعصومات فهن المعدودات. إذا ائتمن على مال ضاع، أو على سر شاع. فاستعينوا بالله من شر شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن. وفى كتاب الأوائى والأواخر للجلال السيوطى المتوفى سنة ٩١١ أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء - أى من جهة قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام - وذكر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ فى كتابه المحاسن والأضداد أن تحية الدخول على ملوك الفرس أن يقول الداخلى: عشت أيها الملك بسعادة الجد ورزقت الظفر على الأعداء، وأعطيت الخير، وجنيت طاعة النساء. وفى كتاب ألف باء لأبى الحجاج يوسف بن محمد البلوى المتوفى سنة ٦٠٥ قال بعض الحكماء القدماء النساء نار توهج وسلم إلى كل بلاء، وهن مثل شجرة الدفلى لها روتق وبهاء، فإذا أكل منها

البعير أدته إلى التوى - الهلاك - وقيل لسقراط الحكيم المتوفى قبل ظهور سيدنا عيسى عليه السلام بـ ٢٧٧ سنة: أى السباع أحسن صورة؟ فقال النساء. ورأى امرأة عوراء فقال: ذهب نصف الشر. ورأى امرأة تركب البحر فقال: شر يجنى شراً ورأى رأس امرأة معلقاً على شجرة فقال ليت كل الشجر بمثل هذا الثمر. وقال بعض الحكماء: من كانت لذته فى النساء وقع فى أعظم البلاء، ومن أراد أن يعيش عيش الرغد، ويحى حياة بلا نكد، فلا يشغل فكره بشهوة النساء، ولا يومئ إليهن بطرف ولا يد. وقال آخر: كل أسير يفتك إلا أسير النساء فإنه غير مفكوك، وكل مالك يملك إلا مالك النساء فإنه مملوك. وقال المرحوم عبد الرحمن الكواكبي المتوفى سنة ١٣٢٠ فى كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: النساء هن النصف المضر، لأنهن اقتسمن أعمال الحياة مع الذكور قسمة ضيزى، إذ جعلن نصيبهن هين الاشغال بدعوى الضعف، وجعلن نوعهن مطلوباً عزيزاً بإيهام العفة، وجعلن الشجاعة والكرم سيئتين فيهن، وجعلن نوعهن يهين ولا يهان، ويظلم ولا يظلم أو يظلم فيعان فالبدوية تسلب الرجل نصف ثمره عمله، والحضرية تسلبه ثلثين، والمدنية تسلبه خمسة أسداسه. وقال الكمال أحسن الله إليه فى كتابه ثمرات التجارب: ذوات الحر، نصف العالم المضر، كيدهن عظيم، وقيدهن أليم، يشكين وهن الظالمات، ويتمنعن وهن الراغبات، يكفرن العشير. وينكرون الكثير، يحفظن الإساءة وينسين الإحسان، على طول الزمان، ناقصات عقل ودين، وأسيرات شهوات جمعاء لا أجمعين، وهن والطفل الصغير، يحسبان أن الرجل على كل شىء قدير، وقال أيضاً: النساء كفك الله البلاء، قدود مائسة، وأفكار يابسة، وأجسام حالية، ولكنها من العقول خالية، وروائح عطره، على أبدان قدرة، ما بين غيض وفيض،

ونفاس وحيض، يونس منظرهن، ويوسف مخبرهن، يبذلون الأموال، ويستعبدون الرجال، يتغالبون في زينتهن، ويتعاليون في مؤنتهن، من غير أن ينظرون لأصلهن، ولا لمقدرة رجالهن، أهملن واجباتهن كل الإهمال، وقعدن عالة على مناكب الرجال، يأخذن منهم معلوماً، ويعطينهم معدوماً أو موهوماً، فالرجل يكذب، ويكدر، ويجد ويمزح، ويدأى ويجرح، ويخسر ويربح، حتى يكون له عندهن محل، ومنهن أهل، وفيهن جمع شمل، فيا لحفة العقل، وقال أيضاً: البلاء كل البلاء، في مقاربة النساء، المس مس أرنب، والريح ربح رزب، - نوع من الطيب - والاسم اسم زينب، - الزينب شجر حسن المنظر طيب الرائحة - والفعل فعل أعقرب، جمرة مغطاة بتمرة، وشهوة تحتها حسرة، صوت المرأة يخرق أحشاء القلوب، ومسها نار يحرق أستار العيوب:

ومن خبر الغواني فالغواني ضياء فى بواطنه ظلام

وقال أيضاً: ما أشبه النساء بالمتائر، فى اعوجاج الباطن واستقامة الظاهر، يتبعن من التطاول كل سبب، ولا ينتهى لهن طلب.

وقال سليمان غزالة الطيب: المرأة تيه وطيش وأشر، وحرب وخصام بين البشر وقال المثنبى المتوفى سنة ٣٥٤ يصف النساء بقلة الثبات وركوب متن الأهواء ويحذر من الوثوق بوفائهن ومن الأكرات لجفائهن:

إذا غدرت حسناء أوفت بعهدا	ومن عهدا أن لا يدوم لها عهد
وإن عشقت كان أشد صباة	وإن فركت فارقت فما فركتها قصد
وإن حقدت لم يبق فى قلبها رضا	وإن رضيت لم يبق فى قلبها حقد
كذلك أخلاق النساء وربما	يضل بها الهادى ويخفى بها الرشد

وقال الشاعر :

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين
فهن أصل البليات التي ظهرت بين البرية في الدنيا وفي الدين

جوامع أعداد لها بدم النساء اعتداد

عدد الاثنين : ومن جوامع الأعداد التي لها بدم النساء اعتداد ما جاء
يف عدد الاثنين المرأة والطفل الصغير يحسبان الرجل على كل شيء قدير .
وقول الشاعر :

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما رأى النساء وأمرة الصبيان
أما النساء فيمهلن مع الهوى وأخوا الصبا يجرى بغير عنان
وقول الشاعر آخر وهو أبو الشيص المتوفى سنة ١٩٤ :

شيئان لا تصبو النساء إليهما حلى المشيب وحلة الأنفاض

وقولهم في عدد الثلاثة ، ثلاثة يدعون الله تعالى فلا يستجاب لهم ؛
رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مال
فلم يشهد عليه ، ورجل آتى سفيهاً ماله وقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء
أموالكم) وهذا حديث رواه الحاكم عن أبي موسى الأشعري ، وفي حديث
آخر " ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة ، العبد
الآبق حتى يرجع إلى مواله فيضع يده في أيديهم ، والمرأة الساخط عليها
زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو " رواه ابن خزيمة وابن حبان
والبيهقي عن جابر بن عبد الله - وفي حديث آخر " ثلاثة لا يدخلون الجنة
أبداء ؛ الديوث والرجلة من النساء ومد من الخمر " - رواه الطبراني عن عمار
ابن ياسر - ثلاثة لا تنتظر من ثلاثة ؛ الحرمة من الفاسق ، والنصيحة من العدو

والوفاء من المرأة. ثلاثة الإقدام عليها خطر، شرب الإسم للتجربة، وركوب البحر للغنى، وإفشاء السر إلى النساء. ثلاثة لا راحة إلا بمفارقتها، السن المتأكلة، والخدام الفاسق، والمرأة السليطة. ثلاثة من خواص المرأة، إذا طعنت في السن يعقم رحمها ويذو لسانها، ويسوء خلقها، بخلاف الرجل فإنه إذا طعن في السن يستجمع رأيه وتذهب حدته، ويحسن خلقه. كدر العيش في ثلاثة الجار سوء، والولد العاق، والمرأة السليطة.

وقولهم في عدد الأربعة "أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في غضب الله المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذي يأتي البهيمة والذي يأتي الرجال" وفي حديث آخر "أربعة لعنوا في السماء، رجل خلقه الله ذكراً فتأنث، وامرأة خلقها الله أنثى فتذكرت تشبه بالرجال؛ والذي يضل الأعمى، ورجل حصور^(١) ولم يجعل الله حصوراً إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام" - أجمعت العرب والعجم على أربع كلمات فقالوا، لا تحملن ما لا تطيق، ولا تعمل ما ليس لك فيه فائدة، ولا تتق بامرأة مهما تكن، ولا تغتر بمال وإن كثر. أربع من الشقاء "المرأة سوء والجار سوء والمركب سوء والمسكن الضيق" وهذا حديث. وفي حديث آخر: "أربعة يمتن القلب، الذنب على الذنب، وكثرة مصاحبة النساء وحديثهن وملاحاة الأحمق تقول له ويقول لك، ومجالسة الموتى" قيل يا رسول الله وما مجالسة الموتى؟ قال "كل غنى مترف وسلطان جائر" أربعة تسلب القرار، المرأة سوء، والولد العاق، والعشير المخالف، والعبد اللئيم، أربعة لا يطاقون عبد ملك، ونذل شيع، وأمة ورثت، وقبيحة تزوجت، أربعة من الشقاء، كثرة العيال وقلة المال، وجار سوء، والزوجة الخائنة. من أراد طول البقاء

(١) الحصور الذي ليس له شهوة في النساء والمبالغ في حبس النفس عن الشهوات والملاهي والمراد هنا المعنى الأول.

فعلية بأربعة أشياء، مبكرة الغداء - وتأخير العشاء - وتخفيف الرداء (الدين) والإقلال من غشيان النساء لا تعباً بأربعة، زهد الخصى . وتوبة الجندي، ونسك النساء، وعبادة الصبيان وقولهم فى عدد الخمسة: خمسة من مصائب الدنيا، موت الأحياب، وذهاب المال، وشماتة الأعداء، وطول السقم، والمرأة الشريرة اهـ نقلا من كتاب لوامع الإسعاد فى جوامع الأعداد للمؤلف .

أقوال الإفرنج فى ذم النساء

قال الفيلسوف شوبنور الألمانى: يسألوننى عن الأفعى اللينة الناعمة الملمس وهى أمامهم فى كل وقت بل فى كل لحظة، ألا وهى المرأة! لتكون المرأة ملكًا طاهرًا أو شيطانًا رجيماً فما لنا ولها أجارنا الله من شرها وأذاها . الحب وردة والمرأة شوكتها، أتركوا للمرأة حريتها ولا تجعلوا عليها رقيباً، ثم قابلونى بعد سنة وأخبرانى عن النتيجة . إن قولنا عن المرأة أنها سيدة لغة يجب القضاء عليها حتى ل ايبقى إلا نساء غارقات فى الشئون المنزلية فقط، يجب أن تبقى المرأة امرأة . وقال وولته سكون الكاتب الإنكليزى: جمال المرء فى عقله، وعقل المرأة فى جمالها . وقال شكسبير الشاعر الإنكليزى: لو سقيت الأرض بدموع النساء لأثبتت كل قطرة حية وقال أرسطو من حكماء اليونان الأقدمين: إذا عجزت الطبيعة عن خلق الذكر خلفت أنثى وقال أنه زوب من قدماء الحكماء أحسن ما خلقتة الطبيعة وأقبحه المرأة وقال سن غرة غوار الفرنسوى: وجود امرأة صالحة أصعب من وجود غرا أبيض . وقال ييلقو: المرأة توصف ولا تعرف وقال زاغارة بللا: المرأة قارورة عطر مختومة، إذا لم تفتحها لم تستفد منها، وإنما تبقى بيدك زيتة، فإذا فتحتها طار ما فيها ولم يبق بيدك غير القارورة . ويقول الإنكليز المرأة فى سن طفولتها بعوضة، وفى سن صباها ذبابة، وفى زمن تعلمها فى المدارس صرصور، وفى زمن

شبابها جرادة، وفي أيام زواجها نحلة وبعد زواجها زنبور. وفي هرمها ثعبان. ويقولون أيضاً لم يخلق الله للنساء لحمى ولا شوارب ليعلم من يراهن أنهن ناقصات. ويقولون أيضاً إنما يرغب الرجال بالنساء الجميلات ليقال إن فيهن نوعاً من الصفات الحسنة ولو صورة لأنهن خاليات من الحسن بالمرّة. والفرنسيون إذا سمعوا بحادثة جنائية ولم يعلموا مسببها قالوا ابحت تجدها بسبب المرأة لأن تسعين في المئة من الوقائع الجنائية التي تحصل في العالم إنما تحصل بسبب النساء فهن أصل الشر ومتبع الفساد في العباد والبلاد.